مكسيم غوركي

أيام مع لينين



مكسيم غوركي

أيام مع لينين



بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى

١١ / ٥٣

ان وصفه لمن الامور الصعبة . فلقد كان لينين في اقواله كالسمكة في قشرتها . كان بسيطاً ومستقيماً ، ككل شيء يقوله .

كانت بطولته عارية من البهاء الخارجي ان صح التعبير ، انما هي التفاني الرهباني والتواضع الموجود كثيراً في روسيا ، عند المثقف الثوري الشريف ، المقتنع اقتناعاً راسخاً بان العدالة الاجتماعية امر ممكن على الارض . هي بطولة شخص خصص جميع مسرات هذه الدنيا بالعمل القاسي من اجل سعادة الانسانية .

* * *

... ما ازال ارى امامي ، بوضوح ، في جوار لندن ، الجدران الجرداء لكنيسة خشبية ليس ابأس من مظهرها ، والنوافذ الغوطية لقاعة صغيرة ضيقة تذكر بغرفة من غرف المدارس الفقيرة لم يكن هذا البناء يشبه الكنيسة الا في مظهره الخارجي ، فـلم يكن في الداخل اي شيء من اشياء العبادة ، حتى منبر الخطيب المنخفض لم يكن موجوداً امـام الناظر في الطرف الاقصى من القاعة ، بل كان موجوداً عند المدخل بين بابين .

حتى ذلك الوقت ، لم اكن قد رايت لينين قط ، بل لم اكن قد قرأت له كما يجب . غير ان ما أعطيته لقراءته ، ولا سيما القصص المليئة بالحماسة التي كان يذكرها من يعرفه من الرفاق ، كانت تجذبني اليه جذبا لا تمكن مقاومته . فلما تعارفنا شد على يدي وسدد الي النظر من عينيه الثاقبتين ، وطفق يحدثني بلهجة مازحة .

— لقد أحسنت بمجيئك ، لانك تحب العراك ، اليس هـذا حقيقيا ؟ ستحدث هنا معركة هوجاء .

كنت امثله شيئا آخر . وكانت الفكرة التي كونتها لنفسي عنه ينقصهـا شيء ما ، كان يلثغ في كلامه ، ويقف ويداه مدسوستان تحت ابطه ، وكأنما يطلب النزال . كان يبدو ، بصورة عامة ، بسيطا الى الحد الاقصى في كل شخصه . ولا يتراءى منه شيء من صفات « الزعيم » . انا اديب ، وهي مهنة تُلزمني ان أذكر التفاصيل . وقد أصبح هذا الالتزام عادة ، لا يمكن احتمالها في بعض الاحيان .

عندما قُدمت لـ غ . بليخانوف كان هذا واقفاً ، ويداه متشابكتان فوق صدره ، ينظر الي نظرة قاسية ، وبشيء من الضجر كما لو كان تعباً من التزاماته كأستاذ تجاه تلميذ جديد . وجه الي جملة جارية مجرى العادة : « انا معجب بنبوغك » . وباستثناء هذا لم يقل لي شيئا احتفظت به ذاكرتي . وطيلة انعقاد المؤتمر لم يشعر كلانا ، بالحاجة الى التحدث .

ولكن هذا الرجل الاشيب ، الالثغ ، المربوع القامة ، القوي ، الذي كان يمسح بيد ، جبهته السقراطية ، ويجذب اليـه ، باليد

الاخرى «يدي» وهو ينظر الي، بود، من عينيه المشعتين، الممتلئتين امتلاء غريباً بالحياة، حدثني فوراً، عن النواقص الموجودة في كتابي «الام» الذي قرأ مخطوطة له أخذها من لاديجينكوف. فقلت له اني كتبت هـذا الكتاب بسرعة. ولم يسمح لي الوقت بان أشرح له السبب. فأشار لينين برأسه اشارة الاستحسان وذكر بنفسه السبب: لقد احسنت بالاسراع، فقد كان هذا الكتاب ضروريا، وكان ثمة كثير من العمال يساهمون في الحركة الثورية، بصورة لا شعورية، عفوية، وربما افادتهم قراءة «الام» افادة كبرى.

«هذا الكتاب جاء في وقته». هذا هو المديح الوحيد الذي وجهه الي. ولكنه اثمن مديح. ثم سألني سؤال رجل عملي عما اذا كانت «الام» قد ترجمت الى لغات اجنبية والى اي حد أفسدت الرقابة الروسية والاميركية الكتاب. ولما علم ان المؤلف قـد يمثل امام القضاء، قطب جبينه، ثم رمى برأسه الى وراء وأغلق عينيه، وانفجرت منه ضحكة جذبت بعض العمال. واقترب فوما اورالسكي، كما اظن، وثلاثة رفاق آخرين.

كنت في عيد، فقد كنت بين ثلاثمائة شخص من منتخبي الحزب، انتدبهم الى المؤتمر ١٥٠ الف عامل منظم. كان امامي جميع زعماء الحزب، الثوريون القدماء: بليخانوف، اكسلرود، ديتش، فكان سروري طبيعياً جداً. ومن السهل ان يدرك القارىء ذلك، لان حالتي المعنوية، طيلة السنتين اللتين عشتهما بعيداً عن بلادي، قد تدنت تدنياً قويا.

وفجأة ، وكما يحدث في القصص، وجدت نفسي في مؤتمر الحزب الاشتراكي الديموقراطي الروسي . لقــد كان هذا عيداً بكل تأكيد !

ولكن هذا العيد لم يدم . فقد انتهى منذ الجلسة الاولى ،منذ المنـاقشات حول « جـدول الاعمال » . وكان من طبيعة هذه المناقشات الصاخبة ، ان بردت حماستي فجأة ، ولم يكن يعود سبب هذا الى ماشعرت به من الانشقاق الكبير في الحزب بين الاصلاحيين والثوريين — شعرت بهذا الانشقاق منذ عام ١٩٠٣ — بمقدار ما يعود الى مرقف الإصلاحيين العدائي من لينين . فقد كان الانشقاق يبرز وينبثق من خطبهم ، كما يبرز الماء وينبثق من « الانابيب » القديمة لمضخات الاطفاء ، تحت ضغط شديد .

المهم ، ليس دائماً ما يقال ، بل الصورة التي يجري فيها القول . فبليخانوف عند افتتاحه المؤتمر « بردنكوته » المزرر من اعلاه الى أسفله ، كأحد الخوارنة البروتستانت ، كان يتكلم كما يتكلم معلم الديانة ، مقتنعاً بان افكاره لا يمكن دحضها ، وبان كل كلمة من كلماته ثمينة مثل لحظات سكوته بين الكلمات . كان يرسل ،بفن، فوق رؤوس المؤتمرين ، جملا منمقة ، مزوقة . ولما كان احــد المندوبين في مقاعد البلاشفة يحرك شفتيه ويهمس بشيء الى جاره، كان الخطيب المحترم يتوقف لحظة ويرميه بنظرة ثاقبة كالمسمار .

كان احد ازرار «ردنكوت» بليخانوف يتمتع بحظوة خاصة لدى هذا الاخير ، فكان يربت عليه ابداً ، ويسند اليه اصبعه في اثناء لحظات السكوت ، كما لو انه زر جرس من الاجراس . فكان

في الوسع الاعتقاد ان هذا الضغط لا غيره هو الذي كان يقطع سير خطبته الرائق . وفي احـــدى الجلسات استعد بليخانوف للاجابة على مندوب ، فشبك ذراعيه على صدره ، وقال بصوت عال ، وبازدراء :

– إحم ! إحم !

فطفق العمال البلاشفة يضحكون ، ورفع بليخانوف حاجبيه ، وشحب لون خده ، وأقول خده ، لاني كنت جالسا الى جانب المنبر ، وكنت ارى جانب وجوه الخطباء .

في اثناء خطاب بليخانوف ، في الجلسة الاولى ، كان لينين اكثر البلاشفة حركة . فكان تارة يتقلص كما لو ان به برداً ، وتارة يتمدد كأنه يشعر بالحر . كان يدس اصابعه تحت ابطه ، ويداعب ذقنه وهو يهز رأسه النير . ولما اعلن بليخانوف ان « ليس هناك من انحرافيين (*Revisionnistes*) في الحزب انحنى لينين ، وبدا رأسه الاصلع محمراً وكتفاه ترتجفان من ضحك خافت . وكان العمال الجالسون الى جانبه ومن خلفه يبتسمون ايضا . ومن اقصى القاعة سأل شخص بلهجة قاسية :

– وهؤلاء الجالسون في الجانب الآخر اذن ؟

كان القصير « فيدور دان » يتكلم بلهجة رجل يعتبر الحقيقة الحقة ابنته الخاصة : انه ولدها ورباها وما يزال يربيها . «فيدور دان» هذا هو التجسيد الكامل لكارل ماركس ، امـــا البلاشفة فهم انصاف علماء ، فتيان سيئو التربية ، وهو ما يبدو ، بصورة خاصة من علاقتهم بالمنشفيك الذين يوجد بينهم ، حسب زعمه ، « نظريون

افذاذ في الماركسية » .
كان يقول بازدراء :
ــ لستم انتم بماركسيين ، كلا لستم بماركسيين !
ويرفع في الهواء ، نحو اليمين ، قبضته الصفراء ...
وتساءل احد العمال بالقرب منه :
ــ ومتى ستذهب من جديد ، لتشرب الشاي مع الليبراليين ؟
لم اعد اذكر ان كان مارتوف قد تكلم في الجلسة الاولى .
كان هذا الرجل ، اللطيف جداً ، يتكلم بحرارة كحرارة الشباب وكان يبدو عليه انه يشعر شعوراً خاصا بمأساة الانشقاق والسوء الذي تولده التناقضات .
كان يرتعش ويضطرب ، ويفك بحركة تشنجية ازرار قبة قميصه المنشى ، ويكثر من الحركات اثناء الكلام . وكانت نهاية اكمامه تبتعد عن اكمام سترته وتغطي كفيه . فكان حينئذ يرفع ذراعيه عاليا ويهزهما لكي تعود نهايتا الكمين الى المكان الذي يناسبهما . ان مارتوف ، كما كان يبدو لي ، لا يثبت ، بل يتوسل ويترجى : من الضروري وضع حد للانشقاق ، فالحزب أضعف من ان ينشطر الى شطرين ، والعامل يحتاج قبل كل شيء الى « الحريات » . يجب دعم الروح . كان خطابه احيانا هستيريا تقريبا ، وكانت وفرة الكلمات تجعله غـــير مفهوم . وكان الخطيب نفسه يبعث اشد الانطباعات ارهاقا . وفي ختام خطابه ، وبدون رابط ، كما يبدو ولكن بلهجة قتالية ، اخذ يصرخ بحرارة لا تقل عن السابق ضد جماعات القتال ، وبصورة عامة ضد تحضير الثورة المسلحة . واني

تلاذكر جيداً ان احدهم هتف بدهشة من مقاعد البلاشفة :

– بل هو مضحك، لا جدال في الامر !

أعيد القول ! انني غير متيقن من ان مارتوف قد تكلم في الجلسة الاولى ، ولست اذكره الا لكي أبين طريقته في الكلام .

وبعد خطابه كان العمال ، وقد خاب املهم ، يقول بعضهم لبعض بالقرب من قاعة المناقشات :

– حسنا ، هذا هو مارتوف! ولقد كان من جماعة «الايسكرا» مع ذلك !.

– ان لونهم يتحول ، هؤلاء الرفاق المثقفون .

كان من دواعي السرور الاصغاء الى « روزا لوكسمبورغ » فقد كانت تتكلم بحرارة وحدة ، وكانت تستخدم سلاح السخرية اتم استخدام . ولكن هوذا فلاديمير ايليتش يصعد الى المنبر بسرعة ويقول لاثغا « ايها الرفاق » . كان يبدو لي انه لا يحسن القول ، ولكن ما ان تقضت دقيقة حتى كنت ، كالجميع ، « مستغرقا » بخطابه . كانت المرة الاولى التي اسمع فيها شخصاً يتكلم بكثير من البساطة عن مسائل سياسية كثيرة التعقيد . لم يكن يسعى وراء صياغة الجمل الجميلة ، بل كان يعرض كل كلمة بوضوح ويعطيها معناها المحدد . ومن الصعب جداً وصف الاثر الخارق الذي كان يحدثه .

كانت يده تمتد الى امام وترتفع ارتفاعا خفيفا عن مستوى الراحة ، كما لو كان يزن كل كلمة، قاضيا على جمل الخصم ومستبدلا بها كلاما له تأثيره القوي وذلك بان يورد البراهين عن حق الطبقة

العاملة وواجبها في انتهاج طريقها الخاص وعـــدم السير وراء البورجوازية الليبيرالية، بل والى جانبها . كل هذا كان ممتازاً ، ولم يكن يصدر ، ان صح التعبير ، عن لينين شخصيا ، بل عن ارادة التاريخ . كان تماسك خطابـــه وطبيعته الكاملة المستقيمة الصارمة يجعلان من الخطاب تحفة فنية كلاسيكية تحتوي على كل شيء ، وليس فيها من نافل ولا تزيين ، وان وجد هذا التزيين فهو غير مرئي ، لانه ضروري بطبيعة الحال ، ضرورة عيني الوجه واصابع اليد الخمسة .

كان الخطاب ، من ناحية الطول ، اقصر من خطب الخطباء الذين سبقوه ، اما من ناحية الانطباع المتولد عنه ، فأشد . ولم اشعر وحدي بهذا . فمن خلفي كانت الهمسات تتصاعد باعجاب :

– انه غزير المادة ...

وفعلا ، فان كل حجة من حججه كانت تتسع من نفسها بالقوة التي تشتمل عليها .

وكان المنشفيك يظهرون ، بدون ان يتضايقوا ، ان هـــذا الخطاب كان كريماً عليهم ، وان قائله كان اكره . وكلما اثبت لينين ، اثباتا دامغا ، ان الحزب يجب بالضرورة ، ان يرتفع الى مستوى النظرية الثورية ، اذا اراد ان يدقق في العمـــل بجميع مظاهره ، كانوا يثيرون الضجيج لمقاطعة خطابه :

– لا محل للفلسفة في المؤتمرات !

– لا نريد وعظا اخلاقيا ، لم نعد طلابا !

وكان ثمة رجل ملحّ ، طويل القامة ، له وجه صاحب حانوت

يكثر من الحركة إكثاراً غريبا ، ويقفز على مقعده ، ويفافىء في كلامه ويصرخ :

— م.... م... متآمرون.. انكم تلعبون دور الـ ..متآمرين ! ايها الـ ...بلانكيون !

وكانت روزا لوكسمبورغ تبدي موافقتها باشارات من رأسها. وفي احدى الجلسات التي تلت، قالت للمنشفيك ، واحسنت القول :

— انتم ايضا، لستم بمتمسكين بمواقع الماركسية ،انكم جالسون بل ونائمون فوقها .

فدوى في القاعة صفير حاد وخبيث ، مفعم بالسخط والسخرية والحقد . وكانت المئات من الاحداق شاخصة باهتمام الى فلاديمير ايليتش . وكان يبدو غير مبال بهذه التهجمات العدائية ، ويتكلم بحرارة ولكن بصورة هادئة ومقنعة . وقد علمت بعد بضعة ايام ماذا كلفه هذا المظهر الهادىء . كان من الغرابة والصعوبة ان يرى المرء ان افكاراً طبيعية كهذه يمكن ان تثير الحقد . وكان على المرء ان يكون متسلحاً بنظرية الحزب حتى يفهم سبب الاختلافات في داخله . وكنت اشعر ان مناقشات المؤتمر كانت تجعل فلاديمير ايليتش ، في كل يوم ، اشد قوة ، وكانت تزيد جرأته ووثوقه . في كل يوم ، كانت خطبه تزداد رسوخاً وكان المندوبون البلاشفة يصبحون اكثر عزماً وتشدداً .

•

كان بعض العمال الذين رأوا لينين للمرة الاولى ، يتكلمون ،

في (هايد بارك) ، عن موقفه في المؤتمر ، فصرّح أحدهم تصريحا له دلالته :

ـ ربما كان لدى العمال هنا ، في اوروبا، زعيم في مثل ذكائه ، (كيبيل) مثلا ، او غيره ، اما ان يكون ثمة رجل يمكن ان احبه لاول وهلة مثل هذا ، فلست اعتقد بذلك . واضاف عامل آخر مبتسما :

ـ هذا من جماعتنا !

فاعترض عليه :

ـ وبليخانوف ايضاً من جماعتنا .

فسمعت جواباً جاء فيه :

ـ بليخانوف معلمنا ، سيدنا ، في حين ان لينين هو زعيمنا ورفيقنا .

فقال شاب ساخراً :

ـ (الردنكوت) هو الذي يزعج بليخانوف .

وذات مرة دنا من فلاديمير ايليتش ، وهو ذاهب الى المطعم ، عامل من المنشفيك. فأبطأ لينين الخطى، وترك مرافقيه يتقدمونه. ووصل الى المطعم بعد خمس دقائق ، وقال متجهما :

ـ مضحك مع ذلك ان يصل الى مؤتمر الحزب فتى في مثل هذه السذاجة . سألني ما هو السبب الحقيقي لخلافاتنا . فقلت له : اليك به . ان رفاقك يريدون الاقامة في البرلمان ، اما نحن فنعتقد ان على الطبقة العاملة ان تتهيأ للنضال ، واظنه قد فهم ...

كنا جماعة نتعشى في مطعم صغير غير غال . فلاحظت ان

فلاديمير ايليتش يأكل قليلا جداً : « اومليت » من بيضتين او ثلاثة ، وقطعة صغيرة من الجامبون مع قدح من البيرا السوداء الكثيفة . كان يبدو انه يهمل نفسه . والذي كان يدهشني ، مقابل ذلك ، عنايته القصوى بالعمال . سأل مرة م. ف. اندرييفا ، التي كانت مسؤولة عن اعاشتهم :

ـ قولي ، اليس الرفاق جائعين ؟ كلا ؟ احم ، احم .. ربما ينبغي زيادة السندويش ؟

وجاء الى الفندق الذي كنت انزل فيه ، فرأيت انه يجس شراشف سريري باهتمام .

ـ ماذا تفعل ؟

ـ انظر الى الشراشف ، عساها ان لا تكون رطبه .

لم افهم باديء الامر . لماذا تهمه شراشف لندن ؟ وحين رأى دهشتي ، شرح لي :

ـ ينبغي ان لا تهمل صحتك .

في خريف ١٩١٨ ، سألت ديمتري بافلوف ، وهو عامل من سورموفو ، ما هي ، في نظره ، ابرز مزايا لينين .

ـ البساطة . انه بسيط بساطة الحقيقة .

ـ كان ذلك بالنسبة اليه امراً صادراً عن امعان في التفكير ، ومقرراً منذ وقت بعيد .

معلوم ان ليس من قضاة اقسى على الانسان من مرؤوسيه . وقد قال لي (غيل) ، سائق لينين ، وهو رجل كثير الاطلاع :

– لينين انسان من جبلة خاصة . ليس له من مثيل . كنت مرة ذاهباً به في شارع مياسنتسكايا ، وكان الازدحام شديداً الى حد انني كنت اتقدم معه بعناء شديد . كنت اخشى ان تخرب السيارة ، فما كنت اكف عن اسماع صوت النفير. وكنت متهيج الاعصاب . ففتح الباب ، وجاء الى عن طريق المارش ، معرضاً نفسه لخطر السقوط ، وقال لي :

– ارجوك يا غيل ، هدئ روعك ، سر مثل الناس .

انني سائق عتيق ، واعلم ان ما من احد يفعل ذلك .

ان من الصعب تصوير الفطرة والطواعية اللتين كان يركز بها جميع مشاعره نحو هدف واحد بذاته .

كان فكره كابرة (البيكار) ، متجها ابداً نحو مصالح طبقة الشعب الكادح . فمرة ، في لندن ، كنا ذات مساء خالين من المشاغل ، فذهبنا مع بعض الرفاق الى « الموزيك هول » وهو مسرح صغير ديمقراطي . فكان فلاديمير ايليتش يضحك بطيبة قلب ، لدى رؤية المهرجين ، ضحكة معدية مثيرة ، والباقي كان لا يكترث له . وقد جلب انتباهه ايضـــا مشهد كان يظهر فيه حطابون اثناء الشغل في كولومبيا البريطانية . رجلان قويا البنية، يقطعان، على الارض، في دقيقة واحدة، جذع شجرة، عرضه متر . فقال لينين :

– من المؤكد ان هذا كله انما هو تخدير للجمهور ، فليس في وسعها ان يشتغلا بهـــذه السرعة : وظاهر انهم ، حتى هناك ، يستخدمون الفراعات ، فينشأ عن ذلك كثير من النفايات التي لا

نفع فيها . ها هم ، الانكليز وتقدمهم !

وشرع يتحدث عن فوضى الانتاج في النظام الرأسمالي ، وعن الكمية الهائلة من المواد الاولية التي تبدد دون جدوى . واعلن في النهاية ، آسفا ، ان احداً لم يفكر حتى الآن في تأليف كتاب حول هذا الموضوع. لم تكن الفكرة التي ابداها لينين واضحة لي، ولكني لم اجـد الوقت لسؤاله ، لانه كان يتحدث عن « الايكسنتريسم » حديثا أخاذاً كأنما يتحدث عن شكل خاص من الفن المسرحي .

— في هذا شيء من السخرية والريبة حيال الامور المقبولة من الجميع ، في هـذا ميل الى عرضها بصورة معكوسة ، الى تعديل شكلها بعض الشيء، الى عدم اظهار معقولية العمل . . الاعتيادي ان هذا الشيء معقد ، ولكنه مثير للاهتمام !

وبعد سنتين ، قال في كابري لـ(آ. بوغدانوف ـ مالينوفسكي) الذي كان يتحدث واياه عن الرواية الخيالية :

— ينبغي لك ان تكتب روايـة تظهر للعمال كيف ان الاستعماريين الضواري قد نهبوا الارض، بتبذيرهم لكل البترول ، لكل الحديد والخشب ، لكل الفحم . ولعل هذا الكتاب يكون جد مفيد ، ايها السنيور الماخي (١) .

---

(١) نسبه الى الفيزيائي النمساوي ارنست ماخ . والماخية هي اشد الاتجاهات المثالية رجعية في الفيزياء النظرية والفلسفة . وقد كانت منتشرة ، بصورة خاصة ، في اواخر القرن التاسع عشر . ويقول الماخيون ان المادة لا وجود لها بصورة موضوعية ، وان الاشياء هي من مركب الإحساسات . فلا وجود للاشياء خارج نطاق الحواس (قلم الترجمة) .

ولدى وداعنا في لندن ، وعدني بالمجيء الى كابري للاستجمام .

غير اني عدت فرأيته ، قبل ذلك ، في باريس ، في مسكنه الطلابي الصغير، الطلابي بحجمه — اذ ليس هناك الا غرفتان فقط — لا بالنظافة والترتيب البالغ الذي كان سائداً فيه . وبعد ان قدم لنا الشاي ، ذهبت ناديجدا كونستانتينوفا . كانت «المعرفة(١) » في ذلك الحين ، تتدهور ، وكنت قد جئت الى فلاديمير ايليتش لاتحدث واياه عن مشروع النشر الجديد الذي يضم جميع رجال الادب عندنا . وقد اقترحت على فلاديمير ايليتش ان يعهد الى ف. فوروفسكي وشخص آخر بادارة المشروع في الخارج ، وان يكون ممثلهما في روسيا ف. دزيتسكي — ستروئيف .

كان ينبغي ، في رأيي ، كتابة عدة كتب عن تاريخ الادب الروسي والغربي ، وكذلك عن تاريخ الثقافة، وهي كتب تسمح للعمال بان يثقفوا انفسهم بانفسهم وتزودهم بمادة غنية للدعاية .

ولكن فلاديمير ايليتش قلب مشروعي رأسا على عقب ، اذ ذكر بالرقابة ، وبالصعوبة التي تواجه تنظيم رجالنا ، فان معظمهم كانوا مشغولين بالناحية العملية في الحزب ، ولم يكن وقتهم يتسع للكتابة ، بيد ان الحجة ، التي كانت اقوى حجة واشدها اقناعا لي ، تتلخص فيما يلي : ليس هذا اوان نشر كتب ضخمة ، فهي تغذي المثقفين الذين ينتقلون ، كما ترى ، من الاشتراكية الى الليبيرالية، ولن يكون في وسعنا ابعادهم عن الطريق الذي

(١) عنوان لمنشورات كانت تصدر في ذلك العهد .

(قلم الترجمة)

يختارونه . انما تلزمنا جريدة ، و كراريس . فيجب اعادة تأسيس مكتبة « المعرفة » الصغيرة ، ولكن ليس في الامكان طبع كل هذا في روسيا ، بسبب الرقابة كما لا يمكن طبعه هنا ، بسبب النقل . انما ينبغي لنا توزيع عشرات ومئـــات الالوف من المناشير بين الجماهير . ولكن كمية كهذه لا يمكن ان تنقل الى روسيا بصورة غير شرعية . فلنرجيء اذن هذا المشروع الى اوقات افضل .

وبهذه الحيوية الخارقة والوضوح اللذين كانا خاصين به ، طفق يتكلم عن (الدوما) ، وعن « الكاديت » الذين كانوا « يخجلون من كونهم او كتوبريين » والذين ليس امامهم « الا طريق واحد مفتوح : طريق اليمين » . ثم دل على علائم مختلفة تنذر بوقوع حرب قريبة و « ربما لن تكون حرباً واحـــدة . وانما مجموعة حروب » . وقد تأكدت تنبؤاته بعد ذلك في البلقان .

ونهض ، ودس بحركة عادية اصابعه تحت فتحة صداره ، وشرع يخطى بطيئة ، يذرع ارض الغرفة وهو يغمز بعينيه المشعتين :

ــ الحرب ستندلع . لا مفر من ذلك . والنظام الرأسمالي يتأكله الفساد وهو في مكانه . والناس ، منذ الآن ، مسممون بالروح الشوفينية والقومية . اعتقد اننا سنشهد ايضاً حرباً اوروبية عامة . اما البروليتاريا فلست اعتقد انها تجد في نفسها القوة على تفادي هذه المجزرة . وكيف يمكنها ذلك ؟ أباضراب عام في كل اوروبا ؟ ليس هناك من تنظيم او وعي كافيين لهذا الامر . ان مثل هذا الاضراب سيكون بدء حرب اهلية . ونحن ، رجال السياسة الواقعيين ، لا يمكننا الاعتماد على هذا .

وتوقف ، وضرب الارض بقدمه وقال متجهما :

— من المؤكد ان البروليتاريا ستتعذب عذابا هائلا ، هذا هو مصيرها في هذه الفترة . ولكن اعداءها سوف يستنفد بعضهم قوى بعض . هذا ، ايضاً ، امر لا مفر منه .

واقترب مني ، وقال بشبه دهشة ، بقوة عظيمـــة ، ولكن بصوت خافت :

— تأمل اذن ، لاي هدف يدفع المتخمون الجائعين الى المسلخ ليقتل بعضهم بعضاً ! هل يمكنك ان تذكر لي جريمة اشد حمقا واكثر اثارة للاشمئزاز ؟ ان العمال سيدفعون ثمنها غاليا ، ولكنهم في آخر الحساب ، هم الذين سيربحون : التاريخ يريد ذلك .

كان يتكلم غالبا عن التاريخ ، ولكني لم ألمس عنده الصنمية حيال ارادة التاريخ وقوته .

واثرت فيه هذه الكلمات ، فجلس الى الطاولة ، ومسح جبينه ، وعب عبة من الشاي وسأل على حين غرة :

— ماذا حدث لك في اميركا ؟ ماذا كانت هذه الفضيحـــة ؟ لقد قرأت الجرائد ، واطلعت على الحادث ولكن ماذا كانت دوافعه ؟

فقصصت عليه مغامراتي بايجاز .

لم أرَ من قبل قط ضحكا له من العدوى ما لضحك فلاديمير ايليتش . بل لقد كان غريبا ان يستطيع رجل واقعي على هـذه الدرجة من الصرامة ، رجل يرى ويشعر ، شعوراً عميقا ، بقرب وقوع المآسي الاجتماعية الكبرى ، وعلى هذه الدرجة من العناد

والتشبث في حقده على النظام الرأسمالي ــ لقد كان غريبا ان يستطيع رجل كهذا ان يضحك كطفل ملء فيه ، حتى تندى عيناه بالدمع . انما يحتاج المرء الى صحة معنوية عظيمة وقوية لكي يستطيع ان يضحك هذا الضحك .

قال لي وهو في غيبوبة :

ــ آه ! نعم . انك لذو دعابة ! هذا قد لا اصدقه . انه لامر مسلّ ، جد مسلّ ...

واضاف جاداً وهو يمسح دموعه التي اثارها الضحك ، وقال بابتسامة لطيفة وطيبة :

ــ انك تتناول احزانك تناول الساخر . هذا حسن جداً ! ان روح الدعابة صفة ممتازة وصحيحة . اني لافهم الدعابة حق الفهم ، ولكن ليس لي منها شيء . الا ان في الحياة ، ان صح القول ، لاشياء مضحكة بمقدار ما فيها من اشياء محزنة . نعم ، بمقدارها .

وتواعدنا للغد في منزله ، ولكن الطقس كان سيئا ، وفي المساء بصقت دما كثيراً . وفي الغد سافرت .

•

بعد باريس ، التقينا من جديد في كابري ، حيث تركت اقامتي فيها تأثيراً في نفسي من اغرب التأثيرات : ذلك ان فلاديمير ايليتش كان يلوح عليه انه جاء الى كابري مرتين وبحالتين نفسيتين اختلفت احداهما عن الاخرى اختلافا كبيراً .

لم يكد لينين يـــنزل من القارب حتى صـارحني بلهجة حازمة :

– نعم ، انا عالم بالامر يا الكسي ماكسيموفيتش . انك تأمل ان تصالحني والماخيين ، مع اني نبهتك في رســـالتي الى ان هذا مستحيل . فلا تحاول اذن .

وفي طريقنا الى البيت ، حاولت ان اثبت له انه غير محق كل الحق : فلم يكن في نيتي قط ان اوفق بين اختلافات فلسفية لم اكن افهمها ، مع ذلك ، حق الفهم . وفوق هذا فقد كنت ، منذ طفولتي ، اشعر بالحذر من الفلسفة . وكان سبب هذا الحذر ، وما يزال ، في اختلاف الفلسفة مع تجربتي « الذاتية » الشخصية . كان العالم ، بالنسبة الي ، في اول بدئه في طريق « الصيرورة » . غير ان الفلسفة كانت تلطمه على رأسه وكانت الاسئلة التي تطرحها في غير اوانها ولا مناسبة لها : « الى اين انت ذاهب؟ لماذا تذهب؟ لماذا تفكر ؟ ».

ولم يكن من بعض الفلاسفة الا ان يقدموا هذه الوصية ، بلهجة صارمة :

– « دع عنك كل هذا ! »

وفوق ذلك ، كنت اعلم ، من قبل ، ان الفلسفة تستطيع ، كالمرأة تماما ، ان تكون جد قبيحة ، وتكون ، مع ذلك ، على شيء من الجمال ، اذا ما تزينت ، بفن ومهـــارة . ضحك فلاديمير ايليتش وقال :

– هذه هي روح الفكاهة ، اما ان يكون العالم في اول بدئه

في طريق « الصيرورة » ، فهذا حسن ! فكر في ذلك بجد . انك تصل بذلك الى حيث كان يجب ان تصل منذ زمن طويل .

ثم قلت له ان بوغدانوف ولوناتشارسكي وبازاروف كانوا ، في نظري ، رجالا ممتازين ، متنورين جداً وعلى ثقافة واسعة ، وانه لم يكن في الحزب من مثيل لهم .

— فليكن ، وماذا بعد في ذلك ؟

— على كل حال ، اني اعتبرهم مرتبطين بهدف واحد . بيد ان وحدة الهدف ، اذا ما أدركت وفهمت بعمق ، من شأنها ان تمحو وتهدم الاختلافات الفلسفية ...

— واذن ، فالامل لا يزال يراودك في ان ترانا متصالحين ؟ الا ليس ثمة من فائدة ، فاطرح عنك هذه الفكرة ، والى ابعد ما تستطيع . انصحك بذلك كصديق . ان بليخانوف ، حسب رأيك ، يسعى وراء هدف واحد . اما انا فاعتقد — وليكن هذا الكلام بيننا — انه يسعى وراء هدف مختلف كل الاختلاف ، بالرغم من انه مادي وغير ميتافيزيكي .

وهنا انتهت محادثتنا . واعتقد انه من غير المجدي التذكير بان هذه المحادثة ليست كما جرت بالنص . غير ان محتواها صحيح .

هذا وقد لاح لي فلاديمير ايليتش اكثر عزما واشد صلابة مما كان في مؤتمر لندن . بيد انه كان هناك ، شديد الاضطراب ، وكان المرء يشعر احيانا ان الانشقاق في داخل الحزب كان تقضيه لحظات صعبة جداً .

اما هنا ، فكان يبدو بارداً وساخراً بعض الشيء ، وكان يبتعد

بقوة ، عن الاحاديث الفلسفية ، وبصورة عامة ، كان متحذراً .
وكان بوغدانوف ، وهو رجل لطيف ودمث الى اقصى حـد ، يحب لينين الى درجة الشغف ، ولا يخلو من بعض الانانية – كان بوغدانوف هذا مضطراً الى سماع كلمات لاذعة وشديدة الوقع :

« من يفكر بوضوح يعطِ حكما واضحـا » ، هكذا قال شوبنهور . واعتقد انه لم يقل افضل من هذا. اما انت ايها الرفيق بوغدانوف ، فانك تعرض افكارك بطريقة مضطربة غامضة . اشرح بجملتين او ثلاث ، ماذا يعطي « تبديلك » للطبقة العمالية ، ولماذا كانت « الماخية » اكثر ثورية من الماركسية ؟

حاول بوغدانوف ان يشرح فكرته . ولكنه ، في الواقع ، اسهب ولم يفصح .

فنصحه لينين قائلا :

– دع عنك هذا . قال احدهم ، وهو جوريس على ما اعتقد : « ان تقول الحقيقة افضل من ان تكون وزيراً » . واضيف انا : وماخيا ايضا .

ثم لعب مع بوغدانوف بالشطرنج . وعندما كان يخسر ، كان يحنق ويغتاظ ويضرب نفسه كالاطفال . الامر الجدير بالملاحظة : ان هذا العمل الصبياني، مثل ضحكه المدهش تماما ، لم يكن يتنافى قط مع طبعه ، ولم يكن هذا وذاك فيه الا شيئا واحداً !

اما في كابري ، فقد كان ثمة لينين آخر ، رفيـق ممتاز يطغى المرح عليه ، ويبدي اهتماما كبيراً لا ينضب بكل ما يحيط به ، كان رجلا من اشد الناس حنواً على القريب .

في احدى الامسيات ، كان الوقت متأخراً ، والناس جميعا ذهبوا يتنزهون، قال بحزن واسف كبير، مخاطباًف. اندريفا وأنا:
– انهم اناس موهوبون واذكياء ، بذلوا كثيراً لحزبنا وكان في امكانهم ان يبذلوا اكثر من ذلك بعشرة اضعاف ولكنهم لن يسيروا معنا ! انهم لا يستطيعون ذلك . فان هذا النظام المجرم افسد ومسخ العشرات والالوف من امثال هؤلاء .
ومرة اخرى قال لي :
– سيعود لوناتشارسكي الى الحزب . فالروح الفردية عنده مما عند الاثنين الآخرين . انه شخص موهوب جداً . واني لاشعر تجاهه بـ « ميل خاص » . يا إلهي ، كم هي حمقاء هذه الكلمات : « يشعر بميل خاص » . ذلك اني احبه فهو رفيق ممتاز ، وعليه سيماء الافرنسيين . كما ان خفته هي ايضا فرنسية ، وناتجة عن روحه الفنية .

وسألني ، بالتفصيل ، عن حياة الصيادين في كابري وعن اجورهم ، وعن نفوذ الخوارنة ، وعن المدرسة . وكانت الاشياء التي يهتم بها كثيرة بحيث اصابتني الدهشة . فقد دلوه يوما على خوري ، وهو ابن احد الفلاحين الفقراء ، فسألهم ان يعلموه عما اذا كان الفلاحون يرسلون اولادهم غالبا الى المدرسة الاكليريكية وعما اذا كان هؤلاء الاخيرون يعودون منها كخوارنة للقرى ؟
– هل فهمت ؟ اذا لم يكن هذا من قبيل الصدفة فهو سياسة الفاتيكان . وانها لسياسة لبقة !

لست ارى رجلاً له ما للينين من رفعة عن الآخرين ، عرف

كيف يصون نفسه ، عن الطمع و كيف يهتم اهتماما فائقا بـ «الناس البسطاء » .

لقد كان فيه نوع من المغناطيسية التي تجتذب اليها عطف الشغيلة وقلوبهم . لم يكن يعرف اللغة الايطالية ، ولكن صيادي كابري الذين رأوا شاليابين وعدداً من الروس البارزين سرعان ما التفوا حوله كانما الحدس قد دفعهم الى هذا. لقد كان آسراً وصادقا ضحك هذا الرجل الذي كان يستطيع ملاحظة خرق الغباوة البشرية ومكائد الذكاء البهلوانية مثلما يستطيع تذوق السذاجة الصبيانية من اصحاب القلوب ... البسيطة ...

قال جيوفاني سبادارو ، وهو صياد ايطالي شيخ :

— لا يمكن ان يضحك مثل هذا الضحك الا رجل شريف .

وكان لينين ، وهو يتـــأرجح في قارب على أمواج تضاهي السماء بزرقتها وصفائها ، يتعلم الصيد « باليد » بواسطة قصبة لا صنارة لها . وكان الصيادون يشرحون له انه لا ينبغي رفع القصبة قبل ان تشعر اليد بالاهتزاز .

— كوزي : درنغ– درنغ . كابيتو ؟

فرفع القصبة فوراً وجذبها اليه ، ثم صرخ ، باعجـاب طفل وفرح صياد :

— آه ، آه ! درنغ – درنغ !

فطفق الصيادون يضحكون ، هم ايضا ، كالاطفال ، وقـــد امتلأوا حبوراً ، واطلقوا عليه لقب « سنيور درنغ - درنغ ! »

وبعد رحيله ، كان الصيادون يسألون دائما :

ـــ كيف حال درنغ ـــ درنغ ؟ الم تنله يد القيصر ؟

الحياة معقدة تعقيداً شيطانيا : فليس في وسع المرء ان يحب باخلاص اذا لم يكن يعرف الحقد . بيـد ان ضرورة الحب من خلال الحقد ، وانقسام النفس انقساما يشوه الانسان تشويها تاما ، يكفيان للقضاء على الحياة الراهنة .

في روسيا ، البـلد الذي كان يجري فيه التبشير بضرورة الالم كوسيلة عامة لـ « انقاذ النفس » ، لم يتيسر لي ان التقي بشخص كان البؤس والحزن والالم يثير فيه حقداً وكرها وازدراء عميقا وقويا مثلما كان الامر مع لينين .

فكانت هذه المشاعر ، وهذا الحقد على مآسي الحياة وفواجعها، ترفع في نظري مكانة لينين بصورة خاصة . لان هذا الرجل كان ينتمي لبلد مُجدت فيه الآلام وقُدست فيه الاناجيل ، بلد تبـدأ فيه الشبيبة حياتها وفق الكتب التي تعج بالاوصاف المتشابهة المآسي اليومية المبتذلة . ان الادب الروسي هو اكثر آداب اوروبا تشاؤما . فلجميع الكتب عندنا ، هدف واحد : هو الالم . يتالم المرء في طفولته وفي سن النضج : من فقدان المحاكمة ، من نير الاوتوقراطية ، من المرأة ، من حب القريب ، من سير الدنيا الفاسدة . ويتألم في الشيخوخة : من الاخطاء التي ارتكبها في الحياة ، من فقد الاسنان ، من سوء الهضم ، من الموت المحتوم .

كل روسي قضى في السجن شهراً ، او نفي سنة لـ « قضيـــة

سياسية » ، يعتبر من واجبه المقدس ان يهب روسيا كتابا عن ذكريات آلامه . وحتى الآن ، لم يخطر في بال احد ان يصف مسرات الحياة . وبما ان الروسي معتاد ان يخترع حياته ، مع انه يحيا ، في الواقع ، حياة صالحة ، فمن المحتمل جداً ان تفيده الكتب المكرسة للحياة السعيدة فتعلمه كيف ينبغي له ان يخترع مثل تلك الحياة .

وما كنت اقدره في لينين ، الى اقصى حدود التقدير ، انما هو ذلك الحقد الذي لا يلين ولا ينضب ، والذي كانت تثيره في نفسه آلام الناس ، هو اقتناعه الراسخ بان البؤس ليس اساساً للوجود لا يمس ، بل مرذلة يمكن ويجب ان يتخلص منها الناس الى الابد .

كان فلاديمير ايليتش ذلك الشخص الذي غير السير المعتاد لحياة الناس ، كما لم يغيره شخص آخر من قبل .

والكراهية التي تكنها له البورجوازية العالمية واضحة ظاهرة : وهي تبدو في كل بشاعتها ، ولطخاتها الزرقاء الوبائية تلمع في كل مكان لمعانا شديداً . هذه الكراهية ، المقرفة بحد ذاتها ، تدلنا كم هو مرعب وعظيم في عينيها ، فلاديمير لينين ، هذا الزعيم والملهم لبروليتاريا جميع البلدان .

لقد مات جسده، ولكن صوته ما يزال مسموعا ، بقوة اشد وانتصار اعظم دائما ، بين شغيلة العالم كله . وليس ثمة من زاوية

على وجه البسيطة لم يدع هذا الصوت فيها العمال الى الثورة ، الى حياة جديدة، الى خلق عالم يكون فيه النـــاس متساوين . ويقوم تلامذ لينين ، وورثة قوته ، بتحقيق عمله ، بقوة اعظم ابــــداً ، وباطمئنان ونجاح . .

كنت اعجب بارادته العظيمة للحياة ، وبحقده الضاري عـــلى النواحي السلبية من الحياة . كنت ادهش للحرارة التي يحملها الى كل شيء . وكانت تذهلني منه قدرته عـلى العمل الذي يفوق طاقة البشر . كانت حركاته رشيقة ملية بالحياة ، وكانت اشارته التي هي بخيلة ولكنها قوية ، تنسجم تمام الانسجام مع خطابه الذي كان بخيلا ، هو الاخر ، بالكلمات ، ولكنه غني بالافكار. وفي وجهه ذي الطابع المنغولي ، كانت تلمع وتبرق العينان الثاقبتان ، عينا مجاهد لا يكل ضد الكذب وآلام الحياة ، كانتا تلمعان وتطرفان وتبرقان ، وتبتسمان بسخرية وترسلان شرر الغضب . وكان بريقهما يعطي خطابه مزيداً من الحيوية والوضوح.

وكان يبدو ، احيانا ، ان حيويته التي لا يمكن كبحها ، تنبثق من عينيه شرراً ، وان كلماته المليئة بالحيوية تلمع في الهواء. وكان خطابه يثير دائما احساسا ملموسا بالحقيقة التي لا تدحض.

كان من المستغرب ومن الخارق للعادة ان يرى المرء لينين يتنزه في حديقة غوركي ، اذ ان المرء كان معتادا ان يتخيله جالسا في طرف احدى الطاولات الطوال ، وهو يدير أحاديث الرفاق ، بابتسامته وعينيه المشعتين والذكيتين المعهودتين كربان وراء دفته ، او يتخيله واقفا على مصطبة ، ملقيا براسه الى وراء راميـا

الى الجمهور المحتبس النفس الظامىء للحقيقة ، كلمات واضحة بينة .

كانت هذه الكلمات تذكرني بالسنى البارد المنتشر من قطع الحديد .

وببساطة مدهشة كانت تنبثق من هذه الكلمات صورة الحقيقة ، المنحوتة نحتاً فنياً .

•

كان ذا طبع جريء ، ولكن جراته لم تكن جرأة مقامر ذي مصلحة ، بل كانت تُبدي فيه تلك النفسية الفريدة التي لا يملكها الا شخص مقتنع اقتناعاً راسخاً برسالته ، شخص يحس بالروابط المتعددة والعميقة التي تربطه بالعالم ، ويدرك ادراكا عميقا دوره في فوضى هذا العالم ، دوره كعدو لهذه الفوضى . وبالحيوية نفسها كان يلعب الشطرنج ، ويتصفح « تاريخ الملابس » ، ويتناقش مع الرفاق ساعات كاملة ، ويصطاد بالسنارة ، ويتبع مسالك كابري الوعرة الملتهبة بحرارة شمس الظهيرة ، ويتأمل زهور الوزان الذهبية واطفال الصيادين الوسخين . وفي المساء ، عندما كان يصغي الى القصص عن روسيا ، وعن الريف ، كان يتنهد بشوق ويقول :

– يا لضآلة مـــا اعرف عن روسيا . سيمبرسك ، كازان ، بطرسبورغ ، النفي ، وانتهى الامر !

كان يحب كل شيء فكه ، ويضحك بكل جوارحه ، «قهقهة» واحيانا تندى عيناه بالدموع . وكان يستطيع ان يعطي كلمته المعهودة المختصرة « احم ، احم » ، عدداً لا ينتهي من الفروق ،

من السخرية اللاذعـــة حتى الشك الحذِر . وكان المرء يلحظ فيه احيانا روح الدعابة المعهودة في الاشخاص الاذكياء، الذين يعرفون كل المعرفة مظاهر العجز الشيطانية في الحياة .

كان ربع القامة ، قوي الجسم ، ذا رأس سقراطي وعينين لا يفلت منهما شيء . وكان احيانا يلتزم صمتاً غريباً ومضحكا بعض الشيء : رأسه ملقى الى وراء ومستند الى كتفيه ، وأصـــابعه مدسوسة تحت ابطـــه ، في فتحة صداره . كان وضعه هذا مضحكا ولطيفاً ، ظافراً ومهاجما في آن واحد . حينذاك ، كانت النشوة تغمره ، ذلك الابن المجيد للعالم الملعون ، ذلك القلب الكريم الذي كان لا بد له من الوقوع ضحية للضغينة والحقد، حتى يقوم بعمل من الحب عظيم .

•

ما كان لي ان اراه ، في روسيا ، ولو من بعيـد ، قبـــل محاولة الاغتيال السافلة والبغيضة التي ارتكبت ضده عام ١٩١٨ ذهبت اليه ازوره . وكان لا يزال عاجزا عن استخدام ذراعيه ، ويصعب عليه تحريك عنقه التي اخترقتها رصاصة . وجوابا عـــلى سخطي وغيظي ، قال من غير نفس ، كما يجري الكلام عن شيء يزعجك :

— انها المعركة . فما العمل ؟ كل امريء وما يستطيع .

كان الاستقبال وديا جدا ، ولكن عيني عزيزي ايليتش اللتين كانتا تريان كل شيء ، كانتا ، طبعا ، تنظران الي ، انا « التائه ».

بأسف ظاهر .

وبعد دقائق قليلة قال لي لينين بجدة :

— من ليس معنا فهو علينـــا . اناس مستقلون عن التاريخ ، يا للوهم ! واذا ما افترضنا انهم وجدوا في الماضي ، فاليوم ليس ثمة منهم ولا يمكن ان يكون ثمة احد منهم . وما من احد في حاجة اليهم . ان كل الناس ، من اولهم حتى آخرهم ، منجرون في زوبعة واقع اشد تعقيدا من اي وقت مضى . تقول اني ابسط الحيـــاة كثيرا ؟ وان هذا التبسيط سيقضي على الثقافة ؟

إحم ، إحم ...

واصبحت نظرته اكثر حدة ، واستمر لينين يقول بصوت منخفض :

— واذن ففي زعمك ان ملايين الفلاحين (الموجيك) المسلحين بالبنادق لا يشكلون خطراً على الثقافة ؟ هـــل تعتقد ان المجلس التأسيسي كان يمكن ان يتخلص من فوضويتهم ؟ وانت الذي تثير كثيرا من الجلبة حول فوضوية الريف ، كان عليك ان تفهم عملنا اكثر من غيرك . يجب ان نظهر للجماهير الروسية شيئاً اكثر بساطة واقرب منالا الى وعيها . مجالس السوفيات والشيوعية ، هذا بسيط .

— تحالف العمال والمثقفين، نعم ؟ ليس هذا رديئا، كلا . فقل لمثقفيك ان يأتوا الينا . انهم ، في زعمك ، يخدمون قضية العدالة باخلاص ؟ حسنا ، فليأتوا الى صفوفنا ليزيدوها ضخامة . اننا نحن الذين حملنا على عاتقنا هذا العبء الضخم ، وهو ان ننهض الشعب

على قدميه وان نقول للعالم اجمع كل الحقيقة عن الحياة . اننا ندل الشعب على الطريق المباشر الذي سيؤدي الى حياة انسانية وسيخلصه من العبودية والبؤس والذل .

وطفق يضحك وقال لي ، ببساطة :

— لهذا السبب بعينه ارسل لي المثقفون رصاصة في جلدي .

وعندما دنت حرارة حديثنا الى الدرجة العادية ، قال بغيظ وحزن :

— هل قلت مرة اننا لسنا بحاجة الى مثقفين ؟ ولكنك ترى كم هم عدائيون ، وكم يسيئون فهم متطلبات الساعة . انهم لا يرون انهم ، بدوننا ، لن يفعلوا ولن يصلوا الى الجماهير . فالذنب ذنبهم اذا ما كان ثمة كثير من الاطباق المكسرة !

وكان هذا الموضوع يتكرر في جميع احاديثنا ،تقريبا. وبالرغم من انه يبقى ، في كلامه ، حذرا وعدائيا حيال المثقفين ، فانه ، في الواقع كان يقدر دائما اهمية الطاقة الثقافية حق قدرها ، في غضون الثورة،وكان يبدو انه موافق على ان الثورة في الاساس هي انفجار هذه الطاقة نفسها التي لا يمكن ان تتطور بصورة منتظمة، في ظروف معيشية باطلة وضيقة .

اذكر اني زرته مرة في منزله مع ثلاثة من اعضاء اكاديمية العلوم وكان الامر يتعلق باعادة تنظيم مؤسسة علمية في بطرسبورغ .

وبعد انصراف العلماء قال لينين راضيا :

— هؤلاء بشر ! نعم ، انهم عقول ! ان كل شيء عندهم بسيط، كل شيء بيّن واضح ،وسرعان ما يرى المرء انهم يعرفون ماذا

يريدون . ان من دواعي السرور ان يعمل المرء مع اناس كهؤلاء. وذلك الشخص هو الذي اعجبني بصورة خاصة .

وسمى شخصا مشهورا في دنيا العلم الروسي . وفي الغد كلمني تلفونيا وقال :

— سل س . اذا كان يقبل العمل معنا ؟

ولما قبل س . ذلك ، كان لينين من اسعد الناس . كان يفرك يديه ويقول ممازحا :

— وهكذا سنجذب الى صفوفنا ، واحدا اثر آخر ، جميع الارخميديسيين (١) الروس والاوروبيين ، وآنئـــذ ، سينقلب العالم شاء ام ابى !

يتفق لي غالباً ان اتحـدث مع لينين عن قساوة التكتيك الثوري والحياة .

فكان يسأل بدهشة وغضب :

— ماذا تريد ؟ هل يمكن ان تكون المسألة مسألة انسانية ؟ هل هذا وقت التحدث عن الطيبة والشهامة ؟ ان اوروبا تضرب علينا الحصار ونحن محرومون من نجدة البروليتاريا الاوروبية التي كنا نعتمد عليها : ودُبّ مناهضة الثورة يتقدم نحونا من جميع الجهات . فهل تريد ان لا يكون علينا التزام ولا لنا حق في النضال وفي الدفاع عن النفس ؟ هـــذا كثير جداً ، ونحن لسنا

---

(١) ارخميدس — عالم يوناني مشهور

بلهاء . اننا نعلم ان احـــداً لن يعطينا ما نريد . فعلينا ان نأخذه نحن . هل تعتقد اني ، لو كنت مقتنعاً بالعكس ، كنت اكون هنا الآن ؟

وسألني مرة ، بعد نقاش حاد :

ــ كيف تعرف عدد الضربات الضرورية وغير الضرورية في معركة ما ؟ .

فلم استطع الاجابة على هذا السؤال البسيط الا بطريقة شعرية . واعتقد ان ليس في وسع المرء ان يجيب عليه بغير هذه الطريقة .

كنت اتوجه اليه مراراً بجميع انواع العرائض ، وكنت اشعر احيـــاناً ان اهتمامي ببعض الاشخاص كان يثير في لينين شعوراً بالشفقة عليّ . فكان يسأل :

ــ ألا يبدو لك انك تهتم بالامور التافهة ؟ .

غير اني كنت افعل ما كنت اراه ضرورياً ، ولم تكن تثنيني النظرة الجانحة والغاضبة يلقيها عليّ الرجل الذي كان يعرف عـــدد اعداء البروليتاريا . كان يهز رأسه بأسف ويقول :

ــ انك تشوه سمعتك في اعين الرفاق ، في اعين العمال .

وكنت اجيب بان الرفاق ، بان العمال ، عندما يكونون في حالة من « التهيج والغضب » ، كانوا يتصرفون احيـــاناً بخفة و « بدون تكلف » تجاه حرية وحياة الناس الذين لهم قيمتهم ، وان هذا في رأيي ، تشويه لسمعة عمل الثورة الشريف والصعب ، بقساوة لا فائدة منها ولا معنى لها احياناً ، وانه فوق ذلك ، يضر بهـــذا العمل ، اذ يصرف الكثير من الناس عنه .

فكان لينين يدمدم بارتياب :

ـــ احم ! احم !

ويذكر لي العديد من الحالات التي خان فيها المثقفون قضية العمال .

كان يقول :

ـــ ان كثيراً من المثقفين ، والكلام بيننا ، يخونون ، لا عن جبن فحسب ، بل عن انانية ايضاً ، عن خوف من ان يصبحوا في فوضى من امرهم ، عن خوف من ان تنهار النظرية التي يتمسكون بها ، اذا ما اصطدمت بالتطبيق العملي . اما نحن ، فلا نخاف ذلك . لان النظرية ، او الفرضية ، بالنسبة الينا ، ليست شيئاً « مقدساً » ، وانما هي اداة عمل .

ومع كل هذا ، فاني لا اذكر مرة واحدة لم يستجب فيها لينين لطلبي . واذا ما حدث احياناً ان بقي طلبي بدون جواب ، فان الذنب في ذلك لم يكن يعود اليه ، بل يعود بلا ريب ، الى تلك « النواقص في العمل » التي كان يعج بها عمل الدولة الروسية الثقيل . او ربما كان السبب في تمنع بعض الاشخاص السيئي النية عن تخفيف مصير الناس الذين لهم قيمتهم ، وعن انقاذ حياتهم ، او ربما كان في الامر ايضاً عمل تخريبي ! فالعدو وقح بمقدار ما هو ماهر الحيلة . كما ان الانتقام والحقد قد يعملان عملها ، غالباً ، بقوة الاستمرار . وكذلك هناك اشخاص مساكين ، مريضو العقول ، يجدون متعة غير طبيعية في التلذذ بآلام الغير .

كان يدهشني احياناً ذلك الاهتمام الذي كان لينين يقدم به

مساعدته الى الناس الذين كان يعتبرهم اعداءنا ، وتلك العناية التي كان يوجهها لمستقبلهم . فقد كان هناك مرة جنرال عالم كيماوي مهدد بالموت .

فقال لينين ، بعد ان اصغى لحكايتي باهتمام :

ــ احم ! احم ! وعلى ذلك فهو ، في رأيك ، لم يكن يعرف ان اولاده قد خبأوا اسلحتهم في مختبره ؟ ان في هذه القصة شيئاً من الرومنطيقية . ينبغي ان نكلف دزيرجنسكي بتمحيص هذه القضية ، فان له حساً دقيقاً في كشف الحقيقة .

وبعد بضعة ايام ، قال لي بالتلفون ، من لينغراد :

ــ سوف نخلي سبيل جنرالك ، واعتقد انه مطلق السراح الان . فماذا يعتمد ان يفعل ؟

ــ مركبات كيماوية ...

ــ نعم ، نعم ، فينول . حسناً ، فليصنع الفينول . واذا كان في حاجة الى شيء ، فاخبرني ...

ولكي يخفي لينين فرحه الخفي بكونه انقذ رجلاً ، كان يعطي صوته لهجة ساخرة .

وبعد بضعة ايام ، سألني من جديد :

ــ كيف حال جنرالك ؟ أهو يشتغل الان ؟

●

في عام ١٩١٩ ، أصعب الاعوام ، عام المجاعة ، كان لينين يشعر بالانزعاج الشديد من تناول الاغذية التي كان الرفاق والجنود

والفلاحون يرسلونها اليه من الريف .. فعندما كانت تصل اليه الطرود في منزله الخالي من وسائل الراحة ، كان يقطب جبينه ويسرع ، خجلا كل الخجل ، في توزيع الطحين والسكر والزبدة على الرفاق المرضى، او الذين اضعفهم نقص التغذية . كان يدعوني الى الاكل ويقول :

ـ سأقدم لك سمكاً طازجاً ورد من (استراخان)..

وغضن جبهته السقراطية وتطلع جانباً بعينيه اللتين لا يفلت منهما شيء ، واضاف :

ـ يرسلون الي كل هذا كأني انا سيد عظيم ! كيف نبعدهم عن هذه العادة ؟ ان من الاهانة الامتناع عن القبول .. وكل الناس من حولي جياع . . . .

ولم يكن هـــذا الرجل القنوع ، الذي لا يعرف الخمرة ، ولا التدخين ، والذي ينهمك من الصباح حتى المساء في عمل معقد وقاصم للظهر ، ـ لم يكن هذا الرجل يعرف مطلقاً كيف يعنى بنفسه ، مع انه ، بالعكس ، يسهر بغيرة على صحة رفاقه . قال لي ، وهو جالس الى مكتبه ، دون ان ينقطع عن الكتابة بسرعة :

ـ صباح الخير ، كيف حالك ؟ بعد ثانية اكون لك .. اني اكتب الى رفيق في الريف يحس بالضجر . انه تعب بلا ريب . وينبغي تشجيعه . ان الروح المعنوية لها شأنها !

وسألني مرة ، وكنت ذهبت الى موسكو لأراه :

ـ هل تعشيت ؟

ـ نعم .

ـ هل تقول الحقيقة ؟

ـ عندي شاهد على ذلك ، مطعم الكرملين .

ـ سمعت ان الاكل فيه رديء .

ـ ليس رديئاً ، ولكن يمكن ان يكون افضل .

ثم انهال علي فوراً بالاسئلة : لماذا هو رديء ؟ وكيف يمكن تحسينه ؟ وطفق يدمدم :

ـ ماذا ؟ أليس في وسعهم ايجاد طاه ماهر ؟ ان الناس يشتغلون حتى الانهاك ، فينبغي ان يقدم لهم طعام جيد حتى يأكلوا زيادة . انا اعلم ان المؤونة معدومة وانها رديئة ، فانما يلزمنا طاه ماهر . وذكر كلمات لأحـــد علماء الصحة عن دور الصفات الهضمية في سير التمثيل والهضم . فسألته :

ـ من اين لك الوقت لتفكر بهذه الاشياء ؟

فسألني هو ايضاً :

ـ بالتغذية المتقنة ؟

وفهمت من لهجة كلامه ان سؤالي كان في غير محله .

ثمة شخص من معارفي القـــدماء ب. س. شوروخدوف ، من سورموفو هو الاخر ، وهو رجل رقيق القلب ، كان يشكو من ان عمله في (التشيكا) كان صعباً عليه ، فقلت له :

ـ يبدو لي ان هذا العمل لايلائمك ، انه لايتناسب وطبيعتك .

فقال بلهجة حزينة :

ـ حتى بالمرة .

ولكنه قال ، بعد تفكير :

ـ ولكن عندما افكر ان ايليتش ، هو ايضاً ، مجبر غالبـــاً

على ان يمسك روحه من ان ترهق ، اشعر بالخجل من ضعفي .

لقد عرفت ، واني لاعرف ايضاً كثيراً من العمال الذين لم يكن لهم بد ، بل ويجب عليهم « ان يمسكوا روحهم من ان ترهق » ، وهم يصرون بشدة باسنانهم ، وان يقسروا «مثلهم الاعلى الاجتماعي» العضوي لكي يؤمنوا انتصار القضية التي يخدمونها .

فهل كان يتفق للينين « ان يمسك روحه من ان ترهق » ؟

لقد كان قليل الاهتمام بنفسه ، بحيث لم يكن يتحدث عنها مع الاخرين . كان يعرف ، خيراً من اي شخص ، كيف يلزم الصمت عن الالام الخفية في نفسه ، بيد انه ، في احد الايام ، في غوركي قال وهو يداعب بعض الاطفال :

ـ سيعيش هؤلاء الاطفال عيشة افضل من عيشتنا . ان كثيراً من المحن لن تمر بهم . وستكون حياتهم اقل قساوة .

وأضاف بتفكير ، وهو يتأمل عن بعد قرية متينة الدعائم على بعض الروابي :

ـ ومع ذلك لا احسدهم . فان جيلنا استطاع ان ينجز عملا مدهشاً من حيث اهميته التاريخية . ان قساوة حياتنا التي ارادتها الظروف ، ستكون مفهومة ومبررة . كل شيء سيكون مفهوماً ، كل شيء !

كان يداعب الاطفال بحيطة وحذر ، مداعبة خاصة مفعمة بالعطف والعناية .

في يوم ذهبت لاراه ، فرأيت على طاولته كتاب « الحرب

والسلام » .

نعم ، تولستوي ! كنت اريد قراءة مشهد الصيد مرة اخرى ولكني تذكرت ان علي ان اكتب لاحد الرفـــاق . ليس لدي متسع من الوقت للقراءة . هـــذه الليلة فقط قرأت كتابك عن تولستوي .

واسترخى على مقعده ، وهو يبتسم ويطرف بعينيه ، ثم تابع بسرعة خافضاً من صوته :

ـــ يا له من طود ! يا له من رجل ! هذا فنان ، نعم ... وهل تعلم ما هو جدير بالملاحظة ايضاً ؟ انه،قبل هذا الكونت ، لم يكن في الادب (موجيك (١)) حقيقي.

ثم سألني وهو ينظر الي بعينيه الطارفتين :

ـــ اي نظير له في اوروبا ؟

وأجاب نفسه بنفسه :

ـــ لا نظير له .

واخذ يفرك يديه ويضحك جذلا .

كثيراً ما لمحت فيه شيئاً من الاعتزاز بالادب الروسي.وكانت هذه الصفة في لينين تبدو لي ، في بعض الاحيان،غريبة وساذجـة ، ولكني ادركت فيها ، فيما بعـــد ، صدى لحب خفي وقوي وعميق للشعب الكادح .

قال لي وهو يتأمل ، في كابري ، بعض الصيادين يحلون بحذر شباكا مزقها وعقدها كلب بحري:

«١» الموجيك : الفلاح الروسي المستعبد .

ــ ان صيادينا لأحذق !

ولما ابديت بعض الشك في هذا الموضوع ، قال بلهجة لا تخلو من الغيظ :

ــ احم ، احم ! انسيت روسيا وانت تعيش على هذه التلة ؟

قص علي ف . ديسنيتسكي ستروئيف انه كان مرة مسافراً في السويد مع لينين بالسكة الحديدية ، وكان يتصفح كتاب مذكرات عن (دورر) باللغة الالمانية .

فسأله بعض الالمان الذين كانوا في نفس العربة عن هذا الكتاب وتبين انهم لم يسمعوا قط برسامهم العظيم . فدهش لينين .

ومرتين اثنتين ، قال باعتزاز لديسنيتسكي :

ــ انهم لا يعرفون رجالهم ولكننا نحن نعرفهم .

وفي احدى الامسيات ، في موسكو ، كان يستمع ، عنــد بيشكوفا ، الى سونات لبيتهوفن ، يعزفها ايساي دوبروفــاين فقال :

ــ انا لا اعرف قطعة اجمل من الـ « آباسيوناتا » . انني استمع اليها دائماً . يا لها من موسيقى مدهشة وعلوية . انني افكر دائمــاً باعتزاز قد يكون ساذجاً . اليكم ما يمكن ان يقوم به الناس من مدهشات !

وطرف بعينيه واضاف وهو يجهد نفسه ليضحك :

ــ غــير اني لا استطيع الاستماع الى الموسيقى في اغلب الاحيان ، فهي تؤثر في الاعصاب ، وتترك المرء يرغب في ان يلغط بهذر لطيف ، وفي ان يداعب رأس اولئك الذين هم اهل

للفراخ من اشياء جميلة كهذه ، لانهم يعيشون في هذا الجحيم . ولكن المرء اليوم لا يستطيع مداعبة احد ، فقد تنال عضة في يدك . ان المرء مضطر الى ان يضرب بدون شفقة ، بالرغم من اننا ، حسب مثلنا العليا ، ضد كل عنف تجاه الناس . احم ، احم ! انها لوظيفة صعبة جداً .

●

خلال اكثر من عام رجاني بالحاح ، وعناد خارق للعادة ، ان اسافر الى الخارج . فكانت تعتريني الدهشة : اين للينين ، المأخوذ بعمله ، الوقت ليتذكر ان ثمة مريضاً في حاجة الى استجمام ؟

سبق لي ان تحدثت عن عنايته الدقيقة الخاصة بالرفاق ، عن ذلك الانتباه الذي كان يحزر ، ببصيرة نفاذة ، حتى الاشياء الصغيرة غير السارة في حياتهم . ولكني لم اجد لديه قط ذلك الاهتمام المغرض الذي يكون احياناً لدى رب عمل ذكي حيال مستخدميه الشرفاء المهرة .

كلا ، انما كان ذلك على وجه الضبط انتباهاً زاخراً بالود ، انتباه الرفيق الحق ، هذه العاطفة الحبية من ند نحو نده . اني لاعلم ان من المستحيل وضع شارة المساواة بين فلاديمير لينين وحتى الذين هم اكبر رجال حزبه ، الا ان ذلك كان كما لو لم يكن على علم به ، او على الاقل لم يكن يريد ان يكون على علم به . كان قاسياً نحو الناس في المجادلات ، فكان يسخر بهم دون شفقة ، بل وغالباً بلذع زاخر بالمرارة .

ولكن كم مرة سمعت، في احكامه على كدرهم الذين وبكتهم قبل حين، – كم مرة سمعت، بجلاء في احكامه على هؤلاء، ملاحظات اعجاب صادق بما لديهم من مواهب وصلابة خلقية، وبالكدح الصبور المرهق الذي كانوا يتابعونه طيلة جحيم سنوات ١٩١٨ — ١٩٢١، وسط جواسيس جميع الاقطار وجميع الاحزاب، وسط المؤامرات التي كانت تتقيح، كالدمامل الطاعونية، فوق جسم البلاد التي انهكتها الحرب. كانوا يشتغلون دونما راحة، ويأكلون شيئاً قليلا وسيئاً، ويعيشون في قلق دائم.

اما لينين فكان يبدو كأنه غير شاعر بكل ثقل ظروف ومشاكل الحياة التي كان عذاب الحرب الوطنية الدامية يشيع الاضطراب في احشائها. مرة واحدة، في حديث مع م. اندرييفا، افلت منه، كما قالت، ما يشبه الشكوى :

– ما العمل، ايتها العزيزة م. ف. ينبغي النضال. ذلك امر ضروري! اهذا مرهق؟ اكيد! وهل تظنين ان ذلك لا يكون في بعض الاحيان قاسياً علي انا ايضا؟ بلى، بلى، وكيف لا! ولكن انظري الى دزرجنسكي، وتطلعي كيف اصبح، هو! لا مناص من ذلك! لا بأس ان يكون ذلك قاسياً، شريطة ان يكون الربح اكيداً!

انا نفسي لم اسمع منه غير شكوى واحدة :

– خسارة ان لا يكون مارتوف معنا، اية خسارة! يا لله من رفيق ممتاز، يا لله من رجل نزيه!

واني لاذكر كيف انطلق يقهقه قهقهة فرحة حين قرأ في مكان ما هذه الكلمات لمارتوف :

« ليس في روسيا غير شيوعيين اثنين : لينين و كولنتاي » .
وبعد ان ضحك طويلا ، قال وهو يتنهد :
— آه ، يا له من رجل ذكي !
وباحترام واعجاب ، على وجه الضبط ، قال عن رئيس احدى المؤسسات وكان قد اوصله حتى باب مكتبه :
— هل تعرفه منذ وقت بعيد ؟ يمكن ان يكون على رأس مجلس وزراء في اي قطر من اوروبا .
ثم فرك يديه واضاف ضاحكا :
— ان اوروبا لافقر منا بالرجال الموهوبين .
اقترحت عليه ان يذهب الى الادارة العامة للمدفعية ليشاهد جهازاً اخترعه بلشفي ، مدفعي سابق ، لتصحيح الرماية على الطائرات ، فقال :
— وهل افهم من ذلك شيئاً ؟ ومع ذلك ، فقد وافق . وفي غرفة مظلمة ، حول طاولة فوقها جهاز ، اجتمع سبعة من الجنرالات الشيوخ ، ذي الشوارب الضخمة ، والوجوه العابسة ، والشعر الاشيب ، رجال علماء ، بينهم كان لينين المتواضع بالثياب المدنية كالضائع . شرع المخترع يشرح سير جهازه ، واصغى اليه لينين دقيقتين او ثلاثاً ، وقال بلهجة مؤيدة :
— احم ، احم !
ومضى يسأل المخترع بطلاقة ، كما لو كان يفحصه بالسياسة :
— وكيف حصلت في آن واحد ، على السير المزدوج للجهاز الميكانيكي الذي يحدد المرمى ؟ وهل يمكن ان يربط اوتوماتيكياً

بين الجرار وشارات الجهاز الميكانيكي ؟

وسأله عن امتداد ساحة العمل ، وعن نقاط اخرى . وكان المخترع والجنرالات يجيبونه بحرارة . وفي اليوم التالي حدثني المخترع :

ــ كنت قد قلت للجنرالات انك ستأتي مع رفيق ، دون ان اسميه ، فما عرفوا لينين ، ولا شك انهم ما كانوا ليظنوا قط انه يمكن ان يجيء هكذا ، من غير ضجيج ، ولا فخفخة ، ولا حرس . سألوني :أهو فني ، بروفيسور ؟ كانوا مشدوهين ان يكون ذلك الانسان لينين . كيف؟ انه لايشبهه ! وفضلا عن ذلك من اين يعرف جميع هذه الاشياء ؟ لقد كان يسألنا سؤال رجل خبير بالتكنيك . هذه اكذوبة ! واعتقد انهم في نهاية الامر لم يصدقوني ...

وفي طريق العودة ، كان لينين يضحك ، وقد امتلأ جذلا . وكان يقول متحدثاً عن المخترع :

ــ كم يمكن الخطأ في تقدير انسان ما ! كنت اعلم انه رفيق قديم شريف جــداً ، ولكن من اولئك الذين « لا يقطفون نجوم السماء » . وها قد تبين ، على وجه الضبط ، انه اهل لذلك ، انه لشهم! لقد كشر الجنرالات عن انيابهم حين ابديت شكوكاً حول استعمال الجهاز ! ولقــد تعمدت ذلك ، فلقد كنت اريد ان ارى كيف يقدرون هذا الشيء الالمعي .

وطفق يضحك مقهقهاً ، ثم سألني :

ــ قل ، هل عمل ايضاً اختراعات اخرى ؟ ما الذي يمنعه من ذلك ؟ ينبغي ان لايعمل غير هذا . آه ، لو ان في وسعنا ان نعطي جميــع هؤلاء الفنيين شروط عمل مثاليــة ! بعد خمسة وعشرين

عاماً ستصبح روسيا البلد الاول في العالم !

●

كان لينين روسياً عاش وقتاً طويلا خارج روسيا وراقب بلاده باتتباه . ومن بعيد كانت هذه تظهر له اكثر فتنة وروعة ، فاستطاع تقدير قوتها الكامنة ، وموهبة شعبها الخارقة ، الموهبة التي ما يزال الاعراب عنها ضعيفاً ، الموهبة التي سحقها التاريخ ، الموهبة المرهقة الرتيبة ، ولكنها كانت ، في اطار حياة اسطورية مظلم ، تتجلى في كل مكان ، وتسطع كنجوم من ذهب .

ان فلاديمير لينين ، رجل المعمورة الحق العظيم ، لم يعد له وجود . ولقد اصاب هذا الموت قلوب الذين عرفوه بضربة مؤلمة جداً ! ولكن شارة الموت السوداء لن تفعل غير زيادة ابراز دوره ، في عين العالم باسره ، كقائد للشعب الكادح في المعمورة .

وما من قوة بقادرة على طمس المشعل الذي رفعه لينين فوق الظلمات الخانقة ، ظلمات العالم المحتضر — ما من قوة بقادرة على ذلك حتى ولو ازدادت حول اسمه كثافة سحب الحقد ، سحب الكذب والافتراء .

وما من رجل فوق كرة الارض استحق مثله حقاً ذكرى خالدة .

لقد مات فلاديمير ايليتش ، وان ورثة عقله وارادته لأحياء . انهم يعيشون ويشتغلون بنجاح ، كما لم يسبق قط لشخص ان عاش واشتغل في التاريخ ..

طبع على مطابع الاستقلال

بيروت ــ شارع المعرض

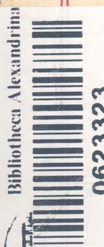
تلفون ٩٠ - ١٦

صدر حديثاً عن دار القلم

بيروت ص . ب ٢٢٩٥

المؤلف	الكتاب	غ . ل
غليزرمين	الطبقة والامة (الطبعة الثانية)	٧٥
غوركي	اسرة زالوموف	١٥٠
غوركي	حادث فوق العادة	١٠٠
غوركي	مذكرات جاسوس	١٠٠
هوارد فاست	طريق الحرية	١٥٠
غوغول	المفتش العام	١٠٠
قصص الغد	المجموعة الاولى	٥٠
الزا تريولا	مايا كوفسكي	١٠٠
شوقي بغدادي	حينما يبصق دماً	١٠٠
محمد دكروب	الشارع الطويل	١٠٠
ميشال سليمان	غضب الجماهير	[illegible]
تولستوي	الحرب والسلام (السادس)	[illegible]

يرسل فهرست منشورات دار القلم لمن يطلبه



ثمن النسخة غ ل

طبع على مطابع الاستقلال - بيروت